مُناقشات

ليس من ازمة عند المثقفين الثوريين

بقلم عبد السلام سعيد

ليس أجدى للباحث الموضوعي من التحديد ، وخاصة اذا طرق ذلك الباحث ابواب المجتمع وعلاقات فئاته ببعضها . فالتمويه في هذا المجال ، هو هدم لكل المقاييس الموضوعية ، وخلط خطير يؤدي الى اختلال البحث والخروج به عن سمات الموضوعية العلمية ، ليرتمي في أحضان المقالات المفرضة الشوهاء التي تعتمد على « الضحك على ذقون القراء » باستعمالها عبارات واصطلاحات تستهويهم في غير معانيها .

ولا أدل على ذلك من مقال الدكتور « ابو القاسم سعد الله » ، الذي يتعرض فيه لازمة المثقف الثوري في الوطن العربي . ومن بداية المقال نلحظ بوضوح ذلك الخلط الخطير عندما يقول : « نعني بالمثقف هنا الانسان العربي الذي بلغ درجة من المعرفة جعلته ينظر الى مجتمعه والى العالم كله ، بمنظار واع ، شامل ، ونافذ . وهو بهذا المعنى لا يمثل طبقة بعينها » . ولكن كيف خرج الدكتور بهذه النتيجة الغريبة من تلك المقدمة ؟ هذا ما لا نعرفه ، كما وانه يتعارض مع ابسط قوانين المنطق الصوري بله المنطق الجدلي الذي يحكم قوانين المجتمع . فهذا المثقف الذي ينظر الى مجتمعه بمنظار واع شامل ونافذ ـ على رأي الدكتور ـ لا بد وان يرى الصراع المحتدم بين الطبقات « المستغلة » والطبقات « المستغلة » بما لكل منهما من حلفاء طبيعيين ، ولا بد له ـ أي للمثقف ـ ان يرى تلك القوانين العلمية التي تتحكم بذلك الصراع ، ولا بد وان يتخذ موقفا ما منه ، اما مع « المستغِلين » او مع « المستغَلين » ، وهنا يصبح ابن طبقة بعينها يدافع عن مصالحها بفكره وعمله .

ان انتماء المثقف طبقيا لا تحدده اصوله الطبقية من حيث مولده ونشأته ، ولكنه يتحدد بالايديولوجية التي ترسم له وتحدد مواقفه وعمله . انه ابن حقيقي للطبقة التي يدافع عنها وعن مصالحها .

وهنا نتفق مع الدكتور في قوله « ليس كل مثقف عربي ثوريا ، فهناك المثقفون الرجعيون والبورجوازيون والثوريون » . ولكن الدكتور لم يتفضل فيحدد لنا : من هو المثقف الثوري ؟ ان ترك هذه الاسئلة بدون جواب يوقع البحث والقارىء في مزالق خطرة ، فالتحديد الدقيق للثورية والثوريين هو ما نحتاجه في مثل هذه الظروف العسيرة والخطيرة التي تخوضها شعوبنا العربية بكافة فئاتها الثورية نضالا ضد المؤامرات والاحلاف والرجعية ، وكفاحا بطوليا من اجل تحقيق غد افضل للانسان العربي الذي طال استغلاله وقهره .

هل يكفي قول الدكتور في تعريف الثورة التي يمثلها المثقف الثوري بأنها « تعني بالضرورة التغيير والتمرد على الحالة الراهنة » ؟ ولكن ، ما هي نوعية ذلك التغيير ؟ وما هي تلك الاحوال الراهنة التي يجب التمرد عليها ؟ ان التجريد البحت في بحث يرصد مشاكل فئة اجتماعية في مجتمع معين في عصر معين ، امر غير منطقي وغير مقبول اطلاقا . فهناك ـ في مصر مثلا ـ مثقفون يشكلون تمردا على الحالة الراهنة في المجتمع المصري ، كالاخوان المسلمين ، ويسعون للتغيير من شكل المجتمع بكل ما في صدورهم من حقد وكراهية للشعب المصري ، فهل نضم هؤلاء الى زمرة المثقفين الثوريين ؟! أم هل نعتبر اولئك المأجورين الذين يقيئون سمهم وصديد قلوبهم على صفحات بعض الجرائد البيروتية نهارا ، ويتلقون الثمن والاوامر والتعليمات ليلا من السفارات الاجنبية ودوائر الاستخبارات الاميركية ، ويدعون للتمرد والتآمر على حكم الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وثورة اليمن بدافع الحقد المجنون وخدمة الامبريالية العالمية ، هل نعتبر اولئك مثقفين ثوريين ؟!!

لا بد لنا في اية محاولة جادة للبحث الموضوعي في المجتمع العربي وفئاته من ان نستخدم ميزانا حساسا ودقيقا للغاية ، نقيس به مدى ثورية كل فئة بل وكل فكر . ولن نجد ادق من هذا الميزان ، وهو : في صالح من هذه الدعوة للتغيير والتمرد ؟ لمصلحة من يناضل هذا المثقف ؟! فان كان الجواب : في صالح الجماهير الكادحة العربية ، في صالح الطبقات التي طال هدر حقوقها واستغلالها في مجتمعنا العربي ، حينذاك جاز لنا ان نحكم بالثورية ، والا قلا .

ان سمة الثورية في المثقف مهما كانت اصوله الطبقية ، هي التي تدفعه للنضال بفكره وعمله ضد الاستعمار بكافة اشكاله وضد الرجعية واحلافها ومؤامراتها بل وضد وجودها ذاته في الوطن العربي ، ومن اجل ارساء دعائم الاستقلال السياسي على اقتصاد وطني متطور ومبرمج وعلاقات اجتماعية تنتفي فيها مظاهر استغلال الانسان لاخيه الانسان . ان الثورية هي السير بالمجتمع العربي قدما في طريق الحتمية التاريخية لهذا العصر ، وهي : الاشتراكية .

وبعد هذا نخلص الى النقطة الثانية التي يثيرها مقال الدكتور ، وهي العلاقة بين المثقف الثوري والشعب . وهنا نتبين بجلاء مدى التشويش الذي يقع البحث فيه لاعتماده على مقدمه مغلوطة وهي :ان المثقف الثوري « لايمثل طبقة بعينها » ، فهو يضع المثقف الثوري ، بناء على ذلك ، وجها لوجه وفي علاقة تضاد مع طبقات الشعب الاخرى . ولكن هل صحيح أن المثقفين الثوريين يشكلون طبقة جديدة غير الطبقات المعروفة في المجتمع العربي ؟! .. ان المثقفين عموما يشكلون فئة اجتماعية متميزة ، ولكن المثقف الثوري ما عاد الا ابنا بارا للطبقة المسحوقة المستغلة التي يدافع عنها في شعبه ، وهذا الوضع هو الذي اكسبه ثوريته .

وهنا نلمح محاولة مكشوفة من الدكتور لربط المثقفين بالشعب خوفا من بروزهم ـ في بحثه ـ فئة معزولة عن الجماهير ، فيقول : « ان كلا من المثقف الثوري والشعب يكمل الاخر » . وكأني به يرى ان المثقف الثوري شيء قائم بذاته خارج حدود الشعب . ومن هذه الرؤية الخاطئة تبرز لدى الدكتور ازمته هو ـ لا أزمة المثقف الثوري ـ في علاقته بالشعب .

ان المثقف الثوري كما وضحنا سابقا قد اتخذ موقفا محددا في صالح الطبقات الكادحة المستغلة ، وليس هناك من ازمة في علاقته بالجماهير الكادحة من شعبه ، فقد اصبح ابنا بارا لها وان كان يتميز عنها بدرجة وعيه لا بنوعيته .

ونأتي الى النقطة الثالثة التي يثيرها الدكتور في مقاله ، وهي « المثقف الثوري وانظمة الحكم » وهنا يصدمنا المنطق ذاته في عدم التحديد والغموض . فالتقسيم الذي يورده الدكتور لانظمة الحكم غير علمي واحادي النظرة . فما الفرق بين حكم جمهوري رجعي وبين حكم ملكي رجعي ؟!! هل الدستور او الشكل الدستوري هو الفارق ؟!! ... ان الحكومات العربية نوعان لا ثالث لهما بغض النظر عن اشكالها الدستورية ، فهي اما حكومات ثورية واما حكومات رجعية مع الاخذ بعين الاعتبار مدى درجة الثورية او الرجعية فيها . انها لا تختلف الا في الدرجة لا في النوعية ، فالحكم الملكي الرجعي اللاحزبي في السعودية لا يختلف الا في الدرجة عن الحكم الجمهوري ذي الحزب الواحد الرجعي في تونس ، والحكم الجمهوري الثوري ذو الحزب الواحد في الجمهورية المتحدة لا يختلف الا في الدرجة عن الحكم الجمهوري الثوري اللا حزبي في اليمن . ان الميزان الحساس الدقيق لقياس ثورية

وتقدمية اي حكم هو : هل هذا الحكم في صالح الجماهير الكادحة من عمال وفلاحين : ام لا ؟ .

انني لا ارى مبررا منطقيا لذلك التحايل المفضوح الذي يضع « المثقف الثوري في خط معارض للخط الذي يتبعه الحكم الثوري » . اي منطق هذا الذي يبرر الصدام بين مثقف ثوري وحكم ثوري ؟!! وما هي تلك الثورية التي تبرر ذلك مع انها سمة مشتركة بينهما ؟!! .. ان الثوري، سواء اكان حكما ام مثقفا ، هو الذي وضع نفسه فكراً وعملا في خدمة الجماهير الشعبية الكادحة . اننا يجب ان نفرق بحسم وحزم بين نقد التطبيق وبين معارضة الخط الثوري ، هذا هو لب المسألة ، فنقد التطبيق شيء يختلف تماما عن الرفض الكلي للخط الذي يتبعه الحكم الثوري . فهل يريد الدكتور من الحكم الثوري في الجمهورية المتحدة مثلا ان يسمح للمثقفين الذين يعارضون خط الحكم الاشتراكي بأن يسمموا الجو بحقدهم المسموم المكشوف على الاشتراكية والشعب ؟!!.. ان النقد البناء لعملية التطبيق الاشتراكي واخطائه قائمة على قدم وساق في الجمهورية ، والذي يتابع الصحف والمجلات المصرية لا بد وان يلاحظ ذلك بوضوح ، ولكن معارضة الخط الاشتراكي للحكم الثوري – والتي لا تزال نجد لها مجالات تتنفس فيها لعدم وجود وفاعلية الجهاز السياسي في الاتحاد الاشتراكي بعد – هي الخطر الاكيد والطابور الخامس المتآمر على مكاسب الشعب العربي في مصر ومنجزات ثورته الجبارة .

ونصل الى النقطة الرابعة التي يثيرها مقال الدكتور وهي عن «المثقف الثوري والتيارات العالمية » والتي لم يحاول فيها ان يحدد ويفرق – كما عودنا في مقاله – بين تيارات تقدمية ثورية واخرى رجعية امبريالية ، مما اوقع هذه القضية بين احابيل التعميمات التي لا تستند الى خلفية صلبة . ولقد وضع الدكتور العالم العربي ككل على انه « لا يتمتع بالاستقلال الحقيقي ، الاستقلال الارادي لا السياسي » ، على الرغم من ان الواقع يناقض ذلك ، فهناك دول عربية تتمتع بالاستقلال السياسي والاقتصادي ولا ترتبط بأية مصالح امبريالية في سياستها الخارجية او الداخلية ، بل وتقف بحزم امام محاولات الاستعمار والرجعية لجرها وجر الشعوب العربية الى احضان الاحلاف والتكتلات الاستعمارية البغيضة .

مما سبق نرى ان المثقف الثوري العربي ليس في أزمة ، فهو لم يكتسب صفته الثورية الا لانه – كما يقول الدكتور – « ينظر الى مجتمعه والعالم كله بمنظار واع شامل ونافذ » . وبهذا المنظار استطاع ان يحدد خط سيره ليوائم خط سير مجتمعه وعالمه الى حتميته التاريخية وليسرع بذلك السير الحتمي . واذا كانت هناك أزمة ، فهي لدى المثقفين العرب – لا الثوريين – الذين ما زالوا يعانون من الضياع والاحساس بالغربة وبفقدان الصلة مع جماهير شعوبهم لا نهم لا يستندون في ثقافتهم الى جدار من الإسمنت المسلح الفكري ، بل الى لهاث وخليط مثالي مهووس. وانني اعتقد ان لا فكاك لهم من أزمتهم الا باتخاذهم جانب الثورة التقدمية فكرا وعملا وبالتزامهم بمصلحة الجماهير الكادحة المسحوقة من شعوبهم . هذه هي طريق الخلاص .

عمان — **عبد السلام سعيد**

رد على رد

بقلم مروان الخاطري

بدأ الشاعر خليل احمد الخليل رده على الاستاذ الناقد صبري حافظ مناقشا دراسته المنشورة في عدد « الاداب » الممتاز المعنونة ب « لا شعر ولا نثر » بمقدمة فلسفية حول ما هو الانسان وماهيته ، ولا اريد ان اقف هنا لانني ان كرهت شيئا فلا اكره الا الفلسفة ، ولكني ، وليعذرني القراء ، اريد أن أقفز مباشرة الى ردوده وأحكامه التي تهم الشعر والنثر على حد سواء . وفي البدء أتساءل كيف يتهم الاستاذ الخليل صبري حافظ بعدائه وتحامله على قصيدة النثر مستشهدا بعنوانه « لا شعر ولا نثر » وهو نفسه يقع في الخطأ عينه اذا جاز لنا ان نسمي ذلك خطأ ، أليس عنوان رده « الشعر والنثر والجهل » يدل على تحامل واتهام بالجهل ويدل على التزام موقف عاطفي محض ، بالرغم من المقدمة الطويلة التي أراد منها اعطاء شيء من الموضوعية على الردود المليئة بالاخطاء والانفعالات السريعة .

يقول متسائلا : « كيف يصير الشعر نثرا ؟ » ثم يجيب نفسه ويقول : « يصير الشعر نثرا حينما لا نحس ان له غاية » ويدعم رأيه بألفية ابن مالك وكلامية ابن الوردي ، وذا خطأ فادح – برأيي على الاقل – لان الشعر مهما كان شكله ومضمونه لا يمكن ان يكون نثرا ابدا وما الالفية والكلامية وما كان على شاكلتهما سوى نظم . وشتان ما بين النظم والنثر . وقد استشهد بهذين النموذجين ليدعم رأيه الا انه لم يفلح في الاستشهاد مما يدل على جهل بالتراث وعدم احترام له ، فللنموذجين غاية وهدف – الغاية التعليمية – التي يعترف بها في الفقرة اللاحقة من مقاله « اننا نقول ان الشعر التعليمي لا يهمنا .. » وما أطلقه من احكام حول صيرورة الشعر نثرا لا ينطبق ولو بشكل خفي على ألفية ابن مالك وكلامية ابن الوردي .

ثم ينزلق في اصدار تعاريف واحكام لا تظهر الا فداحة الخطأ ودرجة التفكير « ان النثر يمتاز بغرضه لا بشكله » . وهنا اريد ان أسأله وأسأل القراء : ما الفرق اذن بين الشعر والنثر طالما ان الاول

صدر حديثا :

اخر رواية كتبها الاديب الكبير

كولن ويلسون

ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق

الشك

رواية عاطفية ، وفلسفية ، وبوليسية ... في وقت واحد ! وهي كذلك فضح لاساليب اليهود الاجرامية وتحليل لتأثير المخدرات !!

من هنا كان غنى رواية « الشك » ، وما تثيره لدى القارىء من شوق وفضول ... وليس ذلك غريبا على واحد من اكبر مفكري هذا العصر ...

منشورات دار الاداب — **٥٠٠ ق.ل**

نميزه بغايته والثاني بغرضه والغاية والغرض لفظتان مترادفتان ؟..

ويتساءل في مكان اخر عمن هم كتاب قصيدة النثر في العالم العربي ، ويذكر عشرة اسماء ثم يقول : « بين هؤلاء الكتاب هناك شعراء وهناك ناثرون » . لقد اعترف ودونما قصد بأن فيهم شعراء وفيهم ناثرون والشاعر غير الناثر كما أعتقد ، الا أنه يعود ثانية ويعطيهم جميعا صفة الشعراء فيقول : « ان هؤلاء الشعراء قد نجحوا جميعا بدرجات متفاوتة » .

وأنا أقول للاستاذ الخليل بأن اكثر الاسماء التي عددها ليس اصحابها بشعراء قط ، وأغليهم كتاب خواطر نثرية لا اكثر ، وليرجع معي قليلا الى الوراء ويفتح عدد الاداب الاول لعام ١٩٦٢ ليرى ان محمد الماغوط بذاته يقول في أول الصفحة ٥٨ « والمحرض الرئيسي لهذه الظاهرة ـ يقصد قصيدة النثر وجماعة مجلة شعر ـ كما افهمه ككاتب قطع نثرية بسيطة ، سميت شاعرا ، وشاعرا حديثا على غرارهم دون ارادتي ، هو ان جماعة هذه المجلة ضحلو الموهبة ، غير قادرين على دخول المعركة من باب الشعر الاصيل المنزه » ..

وانا اذ اخالف الاخ الماغوط ببعض ما قال وأعترف ليوسف الخال وعلي أحمد سعيد بالموهبة الشعرية كل الموهبة .. ألا يقر معي ويعترف الاستاذ الخليل بأن اكثر هؤلاء كتاب قطع نثرية بسيطة . ترى كيف يطلب من الماغوط ان يحدثنا في عدد الاداب الممتاز عن تجربته الشعرية والماغوط نفسه يعترف بانه ليس شاعرا وقد سمي دون ارادته ؟

ثم ينقل للاستاذ صبري حافظ « وساعتها كانت القصيدة الجديدة قد بدأت تطل برأسها مدعمة مواقع خطاها بالمحاولات الجادة لبدر شاكر السياب وأدونيس والبياتي والحاوي ... » مثيرا عاصفة من التساؤل حول كلمة « وساعتها » وأي فترة زمنية تحدد متهما الناقد بتحامله وجهله لولادة الحركة . أرى ان الاستاذ الخليل قد فعل كمن يقول : لا تقربوا الصلاة ... ويصمت . لم لم يرجع الى الفقرة السابقة ويقرأها بجدية ووعي ولو فعل هذا لوجد ان الهاء في ساعتها تدل على عام ١٩٥٧ اذ كان الناقد يتحدث عن « ثلاثون قصيدة » لتوفيق صائغ عام ١٩٥٤ ثم قال « بعد صدور المجموعة بسنوات ثلاث » ثم يذهب الشاعر ويناقش الناقد في موضوع قصيدة النثر وأصحابها حول العمالة للاستعمار والخيانة متخذا موقف المدافع والمنزه للاخرين . ورغم اني لا اريد الخوض في هذا المجال الا انني أتساءل كما تساءل الكثيرون من قبل : لمصلحة من يقف الاستاذ يوسف الخال في مؤتمر أدبي عالمي كما اعتقد خارج حدود الوطن العربي ويقول :

« يا بلادي من الاعماق لا أناديك
لم أقرأ قصتك وأتمناك رحما أفرزه
يا بلادي اذا استدعيتك
فلرحمك أوسعه ، أطرز ضفتيه بروثي ... »

أليس من حق الثوريين العرب أن يتساءلوا كما تساءلوا من قبل جميعا واستهلك تقريبا هذا الحديث وشغل صفحات وأعدادا من الاداب منذ سنوات ، أليس من حقنا ان نشير ونربط بين كلام الخال السابق وبين تسكعه في شوارع لندن ـ على حد تعبير الماغوط في المصدر السابق ـ على نفقة المجلس الثقافي البريطاني وطبعه مسرحيته « هيروديا » في مطابع الهدى بنيويورك ١٩٥٤ ؟

واخيرا كل ما أطلبه من الاستاذ الشاعر خليل احمد الخليل شيئا من الموضوعية اثناء الكتابة وعدم اتهام الاخرين وطلب الصمت منهم ، فلكل رأيه يدافع عنه بالحجة والبرهان والبقاء للافضل . شاكرا اياه على تحريك الموضوع لعله يتبلور اكثر ويقف الشعر على قدميه والنثر على قدميه . شاكرا للاداب على فتح الحوار كعادتها في كل قضية ادبية .

الميادين (سوريا)

مروان الخاطري

دار الآداب :

المعقول واللامعقول في الأدب الحديث

تأليف كولن ولسون

ترجمة انيس زكي حسن

دراسات هامة رائعة عن تيارات الفكر الحديث في الادب والفن ، بقلم كاتب من اشهر كتاب العصر

صدر حديثا

الثمن ٤٥٠ ق. ل